الفصل الثاني

دعوة عيسى عليه السلام إلى التوحيد

وفيه المسائل التالية :

أولا : من خـــــلال التـــــوراة .

ثانيا : من خلال الأناجيل والرسائل المسيحية .

ثالثا : من خـــلال القـــرآن االكريـــم .

obeikandi.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

دعوة عيسى عليه السلام إلى التوحيد

أولاً: دعوة عيسى إلى التوحيد من خلال التوراة

تمهيد:

قبل الكلام عن الوحدانية في التوراة يقتضينا المقام أن نعطي فكرة سريعة عن هذه التوراة فنقول: (التوراة: لفظ عبري معناه الهدى والرشاد، وتسمى البنتاتوس، وهي كلمة يونانية معناها: اللفات الخمس)[1] أي الأسفار الخمسة التي تسمى كتب موسى: وهي سفر الخروج والتثنية واللاويين والعدد والتكوين. (والعهد القديم هو التسمية العلمية لأسفار اليهود، وليست التوراة سوى جزء من العهد القديم، وقد تطلق على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل)[2]. هذا.. ويمكن تقسيم العهد القديم، إلى الأقسام التالية:

أولاً: أسفار موسى وهي الأسفار الخمسة السالفة الذكر والتي تسمى توراة.

ثانيًا: أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرًا وهي: أشعياء وأرمياء ومراثي أرمياء وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبيديا ويونان وملاخي وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا.

ثالثًا: الأسفار التاريخية وهي اثنا عشر سفرًا: يشوع والقضاه وراعوث

---

(١) انظر قصة الحضارة ٢ / ٣٦٧ من المجلد الأول، ول ديورانت.

(٢) انظر اليهودية الأستاذ أحمد شلبي ص ٢٣٨.

وصموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني وأخبار الأيام الأول والثاني وعزرا ونحميا واستيدا.

رابعًا: أسفار الأناشيد وهي خمسة: أيوب ومزامير داود و أمثال سليمان والجامعة من كلام سليمان ونشيد الإنشاد، (وهناك أسفار خفية رأى اليهود عدم إدراجها في العهد القديم) [٣].

والقرآن الكريم كتاب الإسلام لم يعترف إلا بالتوراة الصحيحة التي تلقاها نبي الله موسى، ومن خلالها تحرك المسيح بدعوته وسط قومه، ولم يعترف بسواها من أسفار العهد القديم قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ** ﴾ [٤]. ووصفها بأنها هدى ونور قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ** ﴾ [٥].

ويعترف القرآن أيضًا بأن أيدي اليهود اقتربت إلى سطور التوراة وحرّفتها عن موضوعها؛ ولذلك لُعن اليهود على مر الأزمنة والقرون بسبب هذا التحريف، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ..** ﴾ [٦]. ثم ألبسهم ثوب الخزي والعار بسبب نبذهم للتوراة، وذكر ذلك في مثال واحد قال فيه سبحانه: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ..** ﴾ [٧].

---

(٣) انظر محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن ص ٦٨، الأستاذ محمد عزت طهطاوي.

(٤) سورة آل عمران آية رقم ١، ٢، ٣.

(٥) سورة المائدة بعض آية ٤٤.

(٦) سورة المائدة بعض آية ١٣.

(٧) سورة الجمعة بعض آية ٥.

وعن هذا التحريف يقول ديورانت: (إنه ظهر يوم أن شرع الكهنة في وضع قواعد حكم ديني يقوم على المأثور من أقوالهم وتقاليدهم وعلى أوامر الله)[٨].

ومع أقوال الكهنة أضيفت أقوال الأنبياء بعد موسى عليهم السلام، وهي أقوال صادرة بوحي من الله إلا أن أقوال الكهنة ألبستها ثوب العنصرية حتى في مجال العقيدة، الأمر الذي أدى الى اختلاط في الفهم وضياع للحق. وعن هذه الإضافات يقول سيبونوزا: (إنها حدثت في العصر المكابى سنة ١٦٧ق. م وما بعده، أي بعد بناء الهيكل بمدة طويلة)[٩]. وكلها إضافات تشير إلى مدى التحريف والضياع الذي أصاب توراة موسى عليه السلام، وبسبب ذلك أقام القرآن دعوى ضد اليهود ويدعي فيها أختفاء الكثير من التوراة، والميل بها عن دائرة الصواب، ولم يصدقه أحد سوى المسلمين حتى جاء العصر الحديث، وبدأت الأبحاث العلمية في دراسة النقد التاريخي للعهد القديم وطرح على السطح أول سؤال قائلاً: هل كتب موسى التوراة؟ ولكن الإجابة لم تطرح بوضوح وصراحة وأدلة إلا بعد أن اكتشفت برديات البحر الميت، وظهرت نسخ جديدة للتوراة وكذا الإنجيل مخالفة للنصوص المعتمدة، وأمكن للدارسين أن يقرروا أن العنصر البشري شديد الوضوح في العهد القديم، شهد بذلك كتّاب اليهود والنصارى الذين كانوا يكذبون ما جاء به الإسلام وأعلنه القرآن من أمثال موريس بوكاي [١٠] وشارل جنيبير [١١]، وأيضًا مايكل بانيت ورتشارد ليخ وهنري لنكولن في كتابهم (الدم المقدس والوعاء

(٨) انظر الحضارة ح٢ من المجلد الأول ص٣٦٦ديورانت.
(٩) انظر رسالة في اللاهوت والسياسة ص٣٠٧وما بعدها سيبنوزا.
(١٠) في كتابه العلم والإنجيل والقرآن ص١.
(١١) في كتابه المسيحية نشأتها وتطورها.

المقدس)، وكلها أبحاث علمية لم تجد طريقًا للخروج عن الادعاء الإسلامي السالف الذي قرر هذه النتيجة عن طريق الرسول محمد ﷺ وسط صحراء مكة منذ القرن السابع الميلادي دون أن يدخل كلية أو جامعة أو يجري أبحاثاً علمية؛ لأن الذي أخبره بذلك عالم الغيب والشهادة.

ومهما يكن من شيء فإن المسيح عليه السلام قد تمسك بالتوراة الصحيحة قائلاً: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل، فإن الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل)[١٢]. وهو لا يعني بالناموس سوى التوراة المنزلة على رسول الله موسى عليه السلام، وإذا كانت اليد اليهودية قد فعلت فعلتها، وحرّفت الكثير من نصوص هذه التوراة وأسفار الأنبياء كما عرفنا سابقًا إلا أن هناك نصوصاً مازال يشع منها نور التوحيد، ولم تشر من قريب أو بعيد إلى التثليث بأي وجه من الوجوه. وحتى نقف على حقيقة الدعوة المسيحية سنذكر الآن هذه النصوص عبر السطور التالية:

(١٢) إنجيل متى إصحاح ٥/ ١٧، ١٨.

نصوص التوحيد
في أسفار موسى عليه السلام

تعد أسفار موسى عليه السلام الأصل الأول لكتاب اليهود، والذي يقدسه النصارى في كنائسهم، ولقد جاءت نصوص التوحيد في هذة الأسفار ـ وخاصة سفري التثنية والخروج ـ واضحة المعالم، فيما يسمى بالوصايا العشر، والتي قدر لها أن تبقى، وأن يرددها نصف سكان العالم على حد تعبير ديورانت [١٣].

والوصايا العشر: جاءت بصيغتين: الأولى تتصل بالعقيدة، والثانية تتصل بالعادات والتقاليد. والذي يهمنا منها الآن هو ما يتصل بالعقيدة، حيث جاء عنها في سفر الخروج: (احفظ ما أنا موصيك اليوم... لا تسجد لإله آخر؛ لأن الرب اسمه غيور إله غيور هو...) [١٤] هذه هي الوصية الأولى من الوصايا العشر.

أما الثانية فقد جاء فيها: (لاتصنع لنفسك آلهة مسبوكة) [١٥]. وجاء بوضوح أكثر في الإصحاح العشرين حيث قال: (لا يكن لك آلهةً أخرى أمامي، لا تضع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولاتعبدهن) [١٦]. ويقول صاحب كتاب قصة الحضارة: (إن الوصية الأولى تضع أساس المجتمع الديني الجديد، وهو المجتمع الذي لا يقوم على أي شريعة مدنية، بل على فكرة الله الملك القدوس الذي لا تدركه

(١٣) قصة الحضارة ج ٢ / ٣٦٧ من المجلد الأول.
(١٤) خروج إصحاح ٣٤فقرة ١٤.
(١٥) خروج إصحاح ٣٤ فقرة ١٧.
(١٦) خروج إصحاح ٢٠ فقرة ٣-٥.

الأبصار . . أما الوصية الثانية فقد سَمَت بفكرة الله، وحرّمت أن تصور له أي صورة منحوتة، وقد افترضت هذه الوصية وجود مستوى عقلي راق لدى اليهود، ولأنها تنبذ كل الخرافات كما نبذت فكرة تجسد الإله، وحاولت أن تصور الله منزهًا عن جميع الأشكال والصور). (١٧)

من هذا يتضح لنا أن الله دعى إلى وحدانيته في أول وصاياه لنبيه موسى عليه السلام، كما رقى بالعقل البشري من خلال هذه الوصية أن يدّعي لله شريكاً، أو أن تنبت فيه فكرة التشبيه والتمثيل لهذا الإله الخالق، وبيّن له أنه لا يتجسد في أحد ولا يحل في إنسان، فإذا جاء بعد موسى من يدّعي هذا فلا يصح أن ينسب لأنبياء الله ورسله، وهذا كان واضحًا في الوصية الثانية التي نفت نفيًا تامًا أن يكون هناك شريك للخالق في ملكه، أو شبيه له في الأرض والسماء، ولذا وضح كل ذلك في سفر التثنية الذي جاء فيه تأكيد تام للوحدانية الخالصة في قوله: (لتعلم أن الرب هو الإله ليس آخر سواه) (١٨)، وأيضًا قوله: (فاعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل، ليس سواه فاحفظ فرائضه ووصاياه) (١٩)، وأكد المسيح على الوصية الأولى تأكيداً لا مراء فيه أمام سائل سأله قائلاً: (أي وصية هي أول الكل؟، فأجاب يسوع أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب، إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى) (٢٠).

والمسيح عليه السلام حين ساق هذه الوصية أراد أن يفصح أمام الملأ عن

---

(١٧) قصة الحضارة ٢ / ٣٧١ ، ٣٧٢ من المجلد الأول.

(١٨) تثنية إصحاح ٤ فقرة ٣٥.

(١٩) تثنية إصحاح ٤ فقرة ٣٩

(٢٠) إنجيل مرقس إصحاح ١٢ فقرة ١٩ ـ ٢٠.

جوهر العقيدة التي تحق لأتباعه أن يتمسكوا بها، ويسيروا على دربها، وهي هي نفس العقيدة التي نطقت بها اليهودية وسجلت صيغتها بنفس الحروف تقريبًا في سفر التثنية الذي جاء فيه (اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك)[٢١].

وتشابه العبارتين يدل على مدى قرب المسيحية من اليهودية في العقيدة ومن ثم فأي مخالفة لهذه العقيدة، يعتبر في حد ذاته جرمًا لا مغفرة له؛ لأنه يحمل جرثومة الكفر، ويؤدي إلى تكذيب الأنبياء، ولقد ذكرت دائرة المعارف الأمريكية (أن المسيحية اشتقت من اليهودية، واليهودية صارمة في عقيدة التوحيد، وأن التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة)[٢٢]، ويقول زكي شنودة: (إن اليهود اشتهروا بالتوحيد حتى وقتنا الحاضر، وإن بدت بعض النصوص التي يفهم منها التعدد، إلا أن النظرة العامة لهذه الديانة أنها ديانة توحيد)[٢٣].

ويبدو أن قلم الكاتب المسيحي لم يجرؤ أن يذكر أن اليهودية تعرف عن التثليث شيئاً، أو أن يشير إلى أصول التثليث في اليهودية التي اشتقت منها المسيحية، ولو ذكر لكان حجة له لا عليه. أما وإن الأمر كذلك فإن ما عليه أتباع المسيحية الحاضرة بعيد كل البعد عن المسيحية اليهودية، وبناء عليه فقد فسدت مقولة الكاتب المسيحي متى هنري التي جاء فيها: (إن الفرائض المسيحية بعيدة كل البعد عن نقد أو معارضة الغرض الأصلي من الديانة اليهودية، ولكنها تبغي أن ترقى بها إلى حد الكمال)[٢٤]، ومرجع الفساد

---

(٢١) تثنية إصحاح ٦ فقرة ٤ ـ ٥.

(٢٢) طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص ٩ ، ١٠ ، محمد عبد الوهاب.

(٢٣) اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ص ٣٩٣ زكي شنودة.

(٢٤) تفسير إنجيل متى ج ١ ص ٢١. لمتي هنري.

لهذا القول هو واقع النصارى الملموس الذين فتحوا صدورهم لمقولة التثليث، واتخذوها لهم عقيدة، وعنها يدافعون بالمهج والأرواح، وكأن الله في الأسفار المقدسة لديهم قد أعلن عن أقانيمه الثلاثة واتخذالأب والروح القدس له شريكًا في ملكه، وهذا لا أثر له كما رأينا في أسفار موسى التي تعد النبع الأول للكتاب المقدس لديهم فهي لا تشم من بين وصاياها سوى رائحة التوحيد الخالص رغم أنف اليهود ودعاة الثالوث، وكذا سنرى في رسائل الأنبياء من بني إسرائيل عليهم السلام.

التوحيد في رسائل الأنبياء

وبالبحث بين سطور التوراة (لا نجد كاهنًا يتحدث عن الثالوث، ولا نبيًا يهمس بالتعدد، بل إننا نجد جميع أنبياء التوراة ينادون، بل ويصرحون، بوحدانية الله، وبأنه سبحانه لا شريك له، ولا تركيب فيه ولا شبيه ولا مثيل، قال بهذا كافة أنبياء التوراة وكافة أحبار اليهود)[٢٥]، فها هو أحميا النبي يخاطب الله الواحد قائلاً: (أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض)[٢٦]، ويقول نبي الله حزقيأل: (أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض أنت صنعت السموات والأرض)[٢٧]. وتساءل ملاحي النبي قائلا: (أليس إله واحد خلقنا؟)[٢٨]، ولم يقل عن إله مثلث الأقانيم خلقنا، وهو بهذا يقرر جوابًا لا مفر منه حقيقة أن الذي خلقنا إله واحد لا شريك له ولا مثيل، وهو ذات الإله الذي ناداه أرميا النبي قائلا: (إنه لا

(٢٥) الله واحد أم ثالوث ص ١٢٨، الأستاذ محمد مجدي مرجان.
(٢٦) نحميا إصحاح ٩/ ٦.
(٢٧) ملاحيا إصحاح ١١ / ١٥.
(٢٨) ملاحيا إصحاح ٣/ ١٠.

مثيل لك بين الآلهة يارب، عظيم أنت وعظيم اسمك بين الجبروت)[٢٩]، وعبارة أرميا تشير إلى مدى العظمة التي يُكنُّها هذا النبي في قلبه إلى ذلك الخالق الذي لا مثيل له ولا شبيه، ولم يجرؤ أحد في الكون أن يدعي اسمه أو ينتحل عظمته وهو ذات الإله الذي جاءت أوصافه في القرآن الكريم وأشارت آياته البينات بأن اسمه سيظل فريداً في الأذهان مهما دارت السنون وتوالت الأجيال، قال تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[٣٠].

وإذا ما تركنا سفر أرميا وتصفحنا كلام أيوب النبي في سفره نرى عبارات التوحيد بين طياته، فمرة يرفع بصره إلى السماء ويُقر بأن خالقها إلهٌ واحدٌ فيقول: (الباسط السموات وحده، والماشي على أعالي البحار)[٣١]، وأخرى يركز عيون بصيرته فيها على نفسه ويتأمل قائلاً: (أو ليس صانعي في البطن صانعه وقد صورنا واحد في الرحم؟)[٣٢]، وهو يريد أن يقول: إن صانعي وأنا في بطن أمي ومن حولي ظلمات ثلاث[٣٣]، ولا يمكن أن يكون سوى إله واحد، غير مشارك في صنعته بابن ولا روح قدس؛ لأنه هو المنفرد بالخلق والتصور سبحانه وتعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا .

وإذا تنحينا عن سفر أيوب واتجهنا إلى سفر الملوك الأول فإننا نرى فيه هذا البيان المتوجه إلى كافة شعوب الأرض حاملاً نداء التوحيد للإله الخالق (ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الإله وليس آخر)[٣٤]. ومثيل له

(٢٩) إرميا إصحاح ١٠ / ٦.
(٣٠) سورة مريم آية ٦٥ .
(٣١) أيوب إصحاح ٩ / ٨.
(٣٢) أيوب إصحاح ٣١/ ١٦.
(٣٣) ذكر لفظ ظلمات ثلاث في قوله تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاث ﴾ سورة الزمر بعض آية ٦ .
(٣٤) الملوك الأول إصحاح ٨/ ٦٠.

في سفر الملوك الثاني الذي جاء فيه (فلتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب الإله وحدك)[٣٥]، فإذا كان البيان الأول يعم كافة الشعوب فإن الثاني يقتصر على الملوك وفيه دلالة على أنه هو المتفرد بالملك والسلطان ولا يوجد ملك يشاركه في حكمه لأنه هو صانع الكون كله لا شريك له. أما إذا التقينا مع نبي الله داود عبر المزامير : فإننا نجده يعلن السخرية بآلهة أهل الوثن ويقول : (من إله غير الرب ومن هو صخرة سوي إلهنا)[٣٦]، ولما لم يجد مجيبا رفع يديه قائلا : يا الله الذي صنعت العظائم يا الله من مثلك)[٣٧]، ويبدو من كلام داود عليه السلام أن العقائد الوثنية قد تمكنت من نفوس بني إسرائيل، وأظلمت عقولهم، فكانوا كما يقول زكي شنودة : (يعبدون الله بنفس الطريقة التي يعبد بها الوثنيون أوثانهم . . . ومن ثم لم يكونوا يعبدوه إلا بوصفه واحداً من الآلهة الوثنية) [٣٨]، وأراد نبي الله داود أن ينقي عقيدة التوحيد في بني إسرائيل من هذه الغارات الوثنية فلم يجد مجيبًا، فترك قومه وطوف بعقله في عجائب الكون، وأخذ يقلب البصر يتأمل في حركاته و سكناته في ليله ونهاره في تناسق أوقاته، وفي تتابع ساعاته، وفجأة تدفق في قلبه عجب عظيم لذلك الخالق، فصرخ بوحدانيته قائلاً: (لا مثل لك بين الآلهة يارب، ولا مثل لأعمالك كل الأمم الذين صنعتهم، يأتون ويسجدون أمامك يارب ويمجدون اسمك؛ لأنك عظيم أنت وصانع عجائب، أنت الله وحدك) [٣٩]، ثم يعلن بلسان اليقين أن الكون كله لا يسبح إلا لإله واحد؛ لأنه هو الذي يستحق ذلك فيقول :

---

(٣٥) الملوك الثاني ١٩/ ١٦ .
(٣٦) مزمور ١٨/ ١٣ ,
(٣٧) مزمور ١٧/ ١٩ .
(٣٨) اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ص ٢٩٨ .
(٣٩) مزمور ٨٦ / ٨ـ ١٠ .

(الوحوش وكل البهائم، الدبابات والطيور ذوات الأجنحة، كل الشعوب والرؤساء وكل قضاة الأرض، الأحداث والعذارى أيضًا الشيوخ مع الفتيات ليسبِّحوا اسم الرب؛ لأنه قد تعالى اسمه وحده مجده فوق الأرض والسموات)[٤٠] ثم هتف أخيرًا بأزلية الواحد فقال: (من قبل أن تولد الجبال أو بدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله)[٤١].

نداء الوحدانية عند أشعياء

أما نبي الله أشعياء حينما رأى بني إسرائيل قد تمردوا على عقيدة التوحيد ـ وما أكثر تمردهم ـ قاصدين خلق عقول جديدة تنبذ هذه العقيدة وتحتضن العقائد الوثنية، وكان ذلك أثناء الأسر البابلي[٤٢]، هبَّ بدعوة فيها ملامح الوحدانية الحقة، إذ أخذ يتحدث عن الإله الواحد، إله العالمين لا إله إسرائيل، على حد تعبير ديورانت[٤٣]، وتبعًا لذلك هاجم أشعياء الأصنام وسفه عبادتها ونادى ربه قائلاً: (أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض، أنت صنعت السموات والأرض، إن ملوك آشور قد ضربوا كل الأمم وأرضهم، ودفعوا آلهتهم إلى النار؛ لأنهم ليسوا آلهة بل صنعت أيدي الناس خشباً وحجراً فأبادوهم، والآن خلصنا يا رب لتعلم ممالك الأرض أنك أنت الرب وحدك[٤٤] ثم يعلن الإله الواحد في سفر أشعيا عن نفسه فيقول: (أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لأحد)[٤٥]. ويقول عزّ وجل: (قبلي لم يصور إله وبعدي لا يكون، أنا الرب وليس غيري

(٤٠) مزمور ١٤٨ / ٨ ـ ١٠.
(٤١) مزمور ٩٠ / ٢
(٤٢) راجع اليهودية ص ١٩٨ د. أحمد شلبي
(٤٣) راجع قصة الحضارة ٢ / ٣٤٦ ـ ٣٦٤.
(٤٤) أشعياء إصحاح ٣٧ / ١٦ ـ ٢٠.
(٤٥) أشعياء إصحاح ٤٢ / ١٨.

مخلّص)[٤٦]. ويقول: (أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري . . . أما أعلمتك منذ القديم وأخبرتك، فأنتم شهودي، هل يوجد إله غيري؟ ولا صخرة لا أعلم بها الذين يصورون صنمًا كلهم باطل ومشتبهاتهم لا تنفع، وشهودهم هي لا تبصر ولا تعرف)[٤٧]، وفي هذا النص تلميح لما صرح به القرآن الكريم وذلك واضح في قوله: أما أعلمتك منذ الأزل القديم . . . إلخ، حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا**... الخ ﴾[٤٨]، ووجه الشبه في كلٍّ هو أن الخلق وهم في عالم الذر أقروا من القديم بوحدانية الخالق؛ ولذلك فلا يصح أن يغفلوا عنها ويضعوا مكانها عقائد وثنية وتكون لها السيطرة على قلوبهم؛ لأنه هو محرك الكون ومالك زمام الأمور كلها، ويؤكد ذلك في هذا النص الذي ساقه السفر قائلاً: (أنا الرب وليس آخر، لا إله سواي، نطّقتك وأنت لم تعرفني؛ لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري، أنا الرب وليس آخر مصدر النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر، أنا الرب صانع كل هذه)[٤٩]. وفي النهاية يستهزئ أشعياء بكل من يدعى أن لله نداً وشبيهاً فيقول: (بمن تشبهون الله وأي شبه تعادلون به)[٥٠].

ولعلنا نلحظ أن الوحدانية التي نادى بها أشعياء وجاءت عبر السفر وحدانية لا ترتدي ثوب العنصرية اليهودية التي يقول عنها إلههم: (أنا الرب إلهك)، ولكنها وحدانية نطق بها رب العالمين قال: (أنا الرب وليس آخر، لا إله سواي).

(٤٦) أشعياء إصحاح ٤٣ / ١٠ .
(٤٧) أشعياء إصحاح ٤٤ / ٦ ، ٨ ، ٩.
(٤٨) سورة الأعراف آية ١٧٢ .
(٤٩) أشعياء إصحاح ٤٥ / ٥ ـ ٧ .
(٥٠) أشعياء إصحاح ٤٠ / ١١ .

وبهذا يكون أشعياء بلغ ما أوحي به إليه من عند خالقه سبحانه وتعالى، ولكن ول ديورانت يعترض على ذلك ويقول: (لعل الذي أوحي إلى هذا النبي فكرة وجود إله واحد للكون كله هو نهضة الفرس وانتشار قوتهم، وإخضاعهم دول الشرق الأدنى كلها، وجمعها في وحدة إمبراطورية أوسع وأحسن حكمًا من أي نظام اجتماعي عرفه الناس من قبل، وإذا كان بنو إسرائيل سيكونون قطعة من هذا الملك الواسع فإنه لا يكون لهم إله وحدهم وللحاكمين إله سواه، فإذا كانت إمبراطورية واحدة فليكن هناك إله واحد)[٥١]. وبهذا يريد صاحب كتاب قصة الحضارة أن يربط بين اتجاه أشعياء الديني والسياسي [٥٢] كما يقول الدكتور أحمد شلبي [٥٣]. ونحن نخالفه في ذلك لما يلي:

أولاً: أن دعوة أشعياء للتوحيد ليست بدعة، ولكنها دعوة الأنبياء من قبله في بني إسرائيل، والنبي لا توجهه سياسة أو تؤثر فيه عوامل مادية، وإنما الذي يوجهه في ذلك هو أمانة التبليغ، وبذلك يدعو إلى ما هو صدق وحق، اللهم إلا إذا اعترف ول ديوانت بأن أشعياء ليس بنبي، وهو اعتراف لا محل له هنا؛ لأن الكاتب أثبت نبوته في قوله: وهل الذي أوحي إلى هذه النبي.. إلخ.

ثانيًا: أن ديورانت يريد أن يقول: إن الفرس بسبب سيطرتهم على اليهود هم الذين حملوا أشعياء على الاعتراف بإلهٍ واحدٍ يجمع بينهم وبين اليهود، وهذا القول مرفوض لسببين:

---

(٥١) انظر قصة الحضارة ٢ / ٣٦٤ المجلد الأول.

(٥٢) ذكر مدح لقورش الملك من أشعياء في سفره إصحاح ٤٨، الأمر الذي أدى إلى هذا الاتهام.

(٥٣) راجع اليهودية ص١٩٩ د. أحمد شلبي.

أ ـ إن الفرس كانوا يعتبرون بني إسرائيل أسرى لا قيمة لهم، ومن ثم فلا يمكن أن يتحدوا معهم في عبادة واحدة ويحتضنوا عقيدتهم.

ب ـ إن الفرس لم يعترفوا بإله واحد أصلاً؛ لأن المشهور عنهم أنهم كانوا يعبدون النار، فكيف بهم يقبلون دعوة التوحيد الخالص؟.

ثالثًا: إن القول الذي جاء فيه أنه لا يمكن أن يكون لبني إسرائيل إله وحدهم، وللحاكمين الفرس إله سواه، يوحي بأن بني إسرائيل هم الذين يريدون أن يدخلوا الفرس في ديانتهم، وهذا قول غير مقبول؛ لأن بني إسرائيل كانت تسيطر عليهم العصبية، وتكسوهم نخوة الجاهلية، فأغلقوا على أنفسهم الأبواب من كل جانب، ولم يذكر عنهم أنهم سمحوا لأحد أن يدخل عليهم ديارهم ويشاركهم في إلههم فكيف بهم وهم دعاة العنصرية يقبلون الفرس ليتحدوا معهم في إلهٍ واحدٍ؟

والخلاصة:

إن دعوة أشعياء للتوحيد كانت بأمر من الله، ولم يوح بها فكر سياسي وتسيطر عليها العنصرية اليهودية؛ لأن مسألة الألوهية [٥٤] سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد لم تكن عميقة الجذور في نفوس بني إسرائيل؛ لأن المادية والتطلع إلى أسلوب نفعي في الحياة من أكثر ما يشغلهم.

---

(٥٤) انظر اليهودية د. أحمد شلبي ص ٢٠.

تعقيب ونقد

هذه هي الوحدانية التي تحدثت بها اليهودية وسار في ركبها كافة الأنبياء من لدن آدم إلى عيسى عليهم السلام، ومن بعده أقرها نبي الإسلام ﷺ وهي واضحة المعالم في الكتاب اليهودي الذي يتخذه النصارى مصدرًا من مصادر التشريع عندهم، وإذا أراد اليهود طمس هذه المعالم التي تنبه إلى الإله الواحد فإن أضواء الوحدانية تلقي بشعاعها على عيونهم فلم يستطيعوا أن يقاوموها فتخطئ أقلامهم إلى غيرها، وتبقى آيات التوحيد شاهد إثبات على تفرد الإله بالوحدانية، ودحض فرية التثليث التي لم تسطر لها التوراة حرفًا واحدًا يصح أن يؤخذ كدليل عليها، الأمر الذي يؤكد أن أنبياء بني إسرائيل في حلٍّ من هذا الثالوث، وموسى عليه السلام على رأسهم؛ لأن أسفاره احتشدت بوصايا الناموس، وهي وصايا لا تخرج في حقيقتها عن التوحيد الكامل، التوحيد الذي يشجب كل العقائد الوثنية، ويرتفع بعقيدة الأنبياء إلى جو السماء؛ ولذا لم يكن في مقدور الكاتب المسيحي حبيب سعيد أن يقول عن هذه الوصايا إلا (أنها صورت السلطان المطلق للإله الواحد، وأوجبت العبادة له وحده دون سواه، وشجبت كل عبادة الأصنام، وكل وضع من أوضاع العبادة التصويرية أو الشكلية المحسوسة، وجعلت الحياة وطيدة الأركان ما دام الناس يعبدون الإله الواحد الذي لا يمكن تصويره بأي شكل أرضي)[٥٥].

وهو بهذا يستطرد في وصف الوصايا الإلهية التي حملها نبي الله موسى، وقامت عليها الدعوة المسيحية، دون أن يشعر بأن قلمه يهدم صرح ديانته، ويحطم أركان عقيدته الثالوثية التي تصور الإله عندهم في

(٥٥) أديان العالم ص ١٩٦ حبيب سعيد.

الكنائس وعلى جدران المعابد، وتلقي صوره على الأرصفة في الشوارع، ثم تباع بثمن بخس دراهم معدودة، فهل هذا هو الإله الذي ذكرته التوراة وحمل موسى وصاياه؟ هل هو الإله الواحد وحدة مطلقة، المنزه عن التصوير، والذي لا يمكن رسمه بأي شكل أرضي كما يقول الكاتب، أم هو إله من نوع آخر تفرقت أجزاؤه، ثم جمعت وقيل عنها أنها وحدة واحدة؟ الحقيقة أنه إله من نوع آخر؛ إلهٌ صوَّره الشيطان في أذهان هؤلاء، وأخبرهم بأنه إله واحد، لكنه ذو أقانيم ثلاثة، وإلا فليخبروا عن موسى عليه السلام هل عنده علمٌ بالثالوث أم لا؟ إن كان عنده علمٌ ولم يخبر به في الوصايا فهو نبي كتوم لا يصح أن يحمل رسالةً من ربه، وإن كان جاهلاً فلا يصح للمسيح عليه السلام أن يتمسك بكتاب موسى ولا رسائل الأنبياء من بعده. بيد أن المسيح قد تمسك بكتاب موسى ورسائل الأنبياء، وذلك واضح من قوله: (ما جئت لأنقض الناموس والأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل) [٥٦]. ولم نر نبيًا واحداً سواء أكان موسى أم غيره ممن صدق على أقوالهم السيد المسيح ـ صلوات ربي وسلامه عليهم جميعًا ـ قد نادى في رسائله بتثليث الإله في يوم ما.

ومن المعروف أن رسائل الأنبياء كما يقول صاحب كتاب أديان العالم: (لم تكن زبد قرائحهم استخلصوها من منطقهم وتفكيرهم، بل كانت كلام الله أوحي إليهم) [٥٧]. ومعنى هذا أن الأنبياء حينما دعوا أقوامهم إلى وحدانية الله تعالى لم تكن دعوتهم انعكاسًا لأفكارهم، بل كانت أوامر من الخالق ـ جل في علاه ـ قد تسربت إلى قلوبهم وسكنت في عقولهم ولذا

(٥٦) إنجيل متى إصحاح ٥/ ١٧.
(٥٧) أديان العالم ص ١٩٢، حبيب سعيد.

كانوا يتحركون بخطواتهم على درب واحد، ويتمسكون بشرع واحد. وسبحان من قال لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..** ﴾ (٥٨).

وبناءً على ما سبق من أقوال الأنبياء، وإعلانات آيات التوحيد في التوراة لا نرى ما يدل على غير الوحدانية في الكتب اليهودية. فماذا كانت دعوة المسيح عليه السلام في كتب النصارى؟هذا ما نراه في السطور التالية إن شاء الله.

(٥٨) سورة الشورى بعض آية ١٣.

ثانياً: دعوة عيسى إلى التوحيد من خلال الأناجيل والرسائل المسيحية

إن المطّلع على الأناجيل ورسائل العهد الجديد يهوله هذا الحشد الهائل من النصوص المتراكمة التي تشير إلى وحدانية الله، وتقرر بشرية المسيح، وتدل على أنه نبيٌّ رسولٌ لم يدع في حياته بدعوة تخالف عقيدة الأنبياء، ولم يلفظ بكلمة واحدة تؤيد ما يقوله النصارى في الثالوث الوثني الذي نسب زوراً إلى الديانة المسيحية [٥٩]، يقول الأستاذ العقاد: (إن الأناجيل بها مواضع كثيرة تؤدي إلى تناقضها وعدم صحتها، إلا أننا نرى عدم رفضها رفضا تاما لأن مواضع الاتفاق تدل على أنها رسالة واحدة صدرت من وحي واحد) [٦٠]، وهذه المواضع تقرر ثلاث قضايا هامة قامت عليها الدعوة المسيحية وهي:

أ - أن الله واحد لا شريك له.

ب - أن عيسى نبيٌّ ورسولٌ ليس أكثر.

ج - أن عيسى ما هو إلا إنسانٌ يخضع للناموس البشرى.

والقضيتان الأخيرتان ما هما إلا بمثابة التقرير للقضية الأولى التي تعتبر المحور الأساسي للعقيدة الصحيحة.

١ - وعن قضية التوحيد يقول إنجيل متى:

أ - إن المسيح قال: (لا تدعو لكم أبًا في الأرض؛ لأن أباكم واحد، الذي

(٥٩) العهد الجديد اسم يطلق على الأناجيل الأربعة ورسائل بولس ويعقوب ورؤيا يوحنا ورسائله ورسائل يعقوب ويسمي النصارى هذه الكتب العهد الجديد تفرقة بينها وبين كتب اليهود التي يطلق عليها العهد القديم.

(٦٠) انظر (الله) كتاب في نشأة العقيدة الإلهية ص ١٤٦.

في السموات)[٦١] وهو بهذا يرفع ذكر ربه ويبين أنه إلهٌ واحدٌ ليس له شريكٌ في الأرض ولا في السماء .

ب ـ وجاء فيه أيضًا أن الشيطان تقابل مع المسيح ، وأخذه إلى مكان عال وأراه جميع ممالك الدنيا ، ثم قال : (أعطيك هذه جميعًا إن خررتَ وسجدت لي ، قال يسوع : اذهب يا شيطان ؛ لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد)[٦٢] .

ومع أن القصة في ذاتها غريبة ولا يمكن أن تصدر من الشيطان في حق نبي الله عيسى ، إلا أنها إن ثبتت صحتها ، وهذا محال ، فإنها تلفت النظر إلى أمور ثلاثة .

الأول : أن المسيح نفسه كان عمله هو العبادة والسجود لواحد فقط وهو الله .

الثاني: أن المسيح لم يتخل لحظة واحدة عن الدعوة إلى توحيد الله ، حتى ولو كان المدعو هو الشيطان ذاته .

الثالث: أن إبليس كان موقنًا في قرارة نفسه أن المسيح إنسان من بني آدم ، يمكن في أي لحظة إغواؤه بمباهج الدنيا ، ولو علم غير ذلك ما جرأ على فعل كهذا مع المسيح ، ومن هنا نرى الفرق الشاسع بين الذكاء الذي يتمتع به الشيطان ، والغباء الذي يتردى فيه من يؤلهون المسيح عليه السلام .

---

(٦١) إنجيل متى إصحاح ٢٣/ ٩ .
(٦٢) إنجيل متى إصحاح ٤/ ٨ ، ٩/ ١٠ .

جـ- وجاء أيضًا في الإصحاح التاسع عشر لهذا الإنجيل أن أحد التلاميذ تقدم للمسيح قائلاً: (أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية فقال له: لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلا واحداً وهو الله، ولكن إذا أردت أن تدخل الحياة الأبدية فاحفظ الوصايا)[٦٣].

ونلحظ هنا أن المسيح عليه السلام لم يبادر بإجابة السائل، ولكنه وضع بين السؤال و إجابته جملة اعتراضية ذات معانٍ وفيرةٍ تتفجر منها القضايا التالية:

أولاً: إنه عليه السلام لا يقبل الغلو والإطراء في شخصه؛ لأنه ذو ميلاد عجيب. فلو فتح الباب لهذا الثناء لألقيت على شخصه أوصافٌ قد تخرج به عما يحب؛ ولهذا لم يقبل أي وصف حتى ولو كان فيه الصلاح لأنه كما وصفه كتاب الرحمن ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[٦٤]. وبهذا لا نعتقد أن المسيح ينفر من الوصف ذاته، بل يقصد عدم فتح أي باب للغلو في وصفه. ومن الملاحظ أن النصارى لم ينتبهوا إلى هذا المعنى، بل فتحوا الباب على مصراعيه في وصف المسيح حتى رفعوه إلى الألوهية.

ثانيًا: إن المسيح أراد أن يلفت السامع إلى أنه بشرٌ رسولٌ يغضب ويثور، حين قال: لماذا تدعوني صالحًا؟ ومن كان هذا وصفه فإنه يتعرض ويخضع للناموس البشري، والإله ليس كذلك.

ثالثًا: إن المسيح قصد تأكيد عقيدة التوحيد في قلب سائله حين قال:

---

(٦٣) إنجيل متى إصحاح ١٩/ ١٦/ ١٧.
(٦٤) سورة الزخرف آية ٥٩.

ليس أحد صالحاً إلا الواحد، ثم قال له، بعد ذلك: إن هذه العقيدة هي الطريق الذي يؤدي للحياة الدائمة الأبدية.

٢ ـ في إنجيل مرقس

أ ـ وإذا اتجهنا إلى إنجيل مرقس فإننا نجد أن أحد الكتبة يتقدم إلى المسيح قائلاً: (أي وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد)[٦٥] وهذا يتضمن أن المسيح عليه السلام كان في أقوله وأفعاله لا يخالف العقيدة التي جاءت بها التوراة؛ لأن هذا النص بعينه ذكر في سفر التثنية، وهذا هو ما جعل الرجل السائل يستحسن كلام المسيح ويقول: (جيداً يا معلم بالحق قلت؛ لأن الله واحد وليس آخر سواه)[٦٦]. وبهذا يكون السائل قد صحح عقيدة اليهود بعد موسى على لسان نبي الله عيسى عليه السلام وبها تكون النجاة في الآخرة.

وفي هذا يقول الشيخ رحمة الله الهندي: (لو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لكان مبيناً في التوراة وجميع أسفار الأنبياء، لأنه أول الوصايا، ولقال عيسى عليه السلام أول الوصايا الرب واحد ذو أقانيم ثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي، لكنه لم يبين في سفر من أسفار الأنبياء؛ صراحة ولم يقل عيسى هكذا فلم يكن مدار النجاة، فثبت أن مدارها هو اعتقاد التوحيد الحقيقي)[٦٧].

ب ـ وفي الإصحاح الثالث عشر من هذا الإنجيل جاء قول السيد المسيح: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في

---

(٦٥) إنجيل مرقس إصحاح ١٢/ ٣٩.
(٦٦) إنجيل مرقس إصحاح ١٢/ ٣٢.
(٦٧) إظهار الحق ٢ / ٣٤٤، تحقيق د. أحمد حجازي السقا

السماء ولا الابن إلا الأب)[٦٨]. وهذا القول ـ إن ثبت صحة نسبته إلى السيد المسيح عليه السلام ـ لا يؤدي إلا إلى تفرد الإله بالوحدانية وعلم الغيب، وإلى إبطال ألوهية المسيح التي ادعاها أتباعه من بعده: (لأن المسيح خصص علم القيامة بالله تعالى، ونفى عن نفسه كما نفى عن عباد الله الآخرين، وسوّى بينه وبينهم في هذا، ولا يمكن هذا في صورة كونه إلهًا)[٦٩]، وهذا الذي سجله مرقس في إنجيله على لسان المسيح لدليل على أنه لم يَعْلَم منه شيئاً غير التوحيد، ولو علم لسجل، فهو الذي أطنب أكثر من غيره في سرد أقوال المسيح وأفعاله، ويعتبر النقاد أن إنجيله (من أكثر الأناجيل التي كتبت عن عيسى وأعماله وأقواله)[٧٠]. ويذكر صاحب كتاب «مروج الاختيار في تراجم الإبراء» (أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذة بطرس)[٧١].

٣ ـ في إنجيل لوقا

فإنه يخبر أن المسيح كان يوصي بحفظ كلام الله، وكان يقول: (طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه)[٧٢]، ولا يعقل أن يكون كلام الله مصحوبًا بلوثة الشرك، ومغايراً لما وصّى به رسله وأنبياءه؛ ولذا قال المسيح عنه: (إنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد)[٧٣].

٤ ـ في إنجيل يوحنا

وإذا اتجهنا إلى إنجيل يوحنا فإننا نجد المسيح يتحدث مع اليهود عن الإيمان

---

(٦٨) إنجيل مرقس إصحاح ١٣ / ٣٢.

(٦٩) إظهار الحق ٢ / ٣٤٥، الشيخ رحمة الله الهندي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا.

(٧٠) انظر المسيحية ص ٢١. د. أحمد شلبي.

(٧١) انظر محاضرات في النصرانية ص٤٧، وقصص الأنبياء ص ٤٧٦.

(٧٢) إنجيل لوقا إصحاح ١١ / ٨.

(٧٣) إنجيل لوقا إصحاح ٤/ ٨.

بالله قائلاً: (كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلوا مجداً بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه) [٧٤]. فلو كان هناك إيمان يصح أن يكون لغير الواحد ما اقتصر المسيح على تحديد اللفظ، ولو كان الإيمان بالأقانيم الثلاثة لبينه في حديثه، ولكنه قال بالواحد. و يكشف يوحنا عن مشهد مثير ـ مشهد الصلب على زعمهم ـ، وفيه يحسم المسيح قضية التوحيد ويبين أنه لم تخرج رسالته ودعوته عن هذه القضية. ومتى؟ في ساعاته الأخيرة على الأرض حتى لا يكون لأحد تقوّل عليه من بعده.

(تكلم يسوع بهذا ورفع عينه نحو السماء وقال: . . . وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك) [٧٥]. وبهذا تكون آخر كلمات المسيح هي لا إله إلا الله.

هذا هو ما تحدثت به الأناجيل المعتبرة عن دعوة المسيح وقضية التوحيد.

٥ ـ وفي إنجيل برنابا

وإذا اتجهنا إلى إنجيل برنابا إننا نجده في إصحاحاته لا يخالف في هذه القضية، ويقول على لسان المسيح. (أيها الرب إلهنا ليتقدس اسمك . . . لأنك أنت وحدك إلهنا الذي يجب له المجد والإكرام إلى الأبد) [٧٦].

ويقول المسيح عن ربه: إنه قال: (أنا الله أحد ولا إله غيري) [٧٧]. وهذه الأقوال التي جاءت على لسان المسيح لا تخالف ما قاله التلاميذ في رسائلهم.

---

(٧٤) إنجيل يوحنا إصحاح ٥/ ٤٤. (٧٥) إنجيل يوحنا إصحاح ١٧/ ١-٣.

(٧٦) إنجيل برنابا إصحاح ٢٧/ ٦ ـ ٧، وهو من الأناجيل التي يرفضها النصارى بلا دليلٍ أو برهانٍ.

(٧٧) إنجيل برنابا إصحاح ٣٠/ ١٧.

٦ ـ رسائل التلاميذ

فها هو يعقوب يقول: (أنت تؤمن أن الله واحد حسنًا تفعل) [٧٨] . ولقد فطن يعقوب إلى تمسك المسيح بالناموس، فأراد أن يبين أن الناموس لم يوح به إله مثلث الأقانيم، بل هو من وحي إلهٍ واحدٍ.

(واحدٌ هو واضع الناموس القادر أن يُخلِّص ويُهلك) [٧٩] .

٧ ـ في رسائل بولس

أما بولس فإنه يؤكد على وحدانية الله، وبشرية المسيح في رسالته الأولى إلى صديقه ثيموثاوس قائلاً: (لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس يسوع المسيح) [٨٠]، وفي رسالة أخرى إلى أهل غلاطيه يقول فيها: (ولكن الله واحد) [٨١] هذا هو ما جاء في الأناجيل ورسائل الحواريين من ذكر لوحدانية الله، ويوجد بل توجد المئات من كلمات المسيح والحواريين، وكلها تتحدث على أن الله إله واحد، ولو كان هناك شيء غير هذا لذُكر على لسان المسيح وتلاميذه، فهم أولى الناس بذكره وشرحه، و إلا لقلنا إن المسيح لم يبلغ رسالة ربه، ولكنه بلّغ وأقرت الأناجيل بذلك، ولم نر إنجيلاً واحداً يرفع بشخص المسيح إلى ما هو فوق النبوة والرسالة، وهذا هو ما ذكرته الأناجيل أيضًا: وسنرى ذلك فيما يلي:

---

(٧٨) يعقوب إصحاح ٢/ ١٩,

(٧٩) يعقوب إصحاح ٤/ ١٢.

(٨٠) تيموثاوس إصحاح ٢/ ٩,

(٨١) غلاطية إصحاح ٣/ ٢٠.

المسيح نبي ورسول ليس أكثر

١ـ جاء في إنجيل متى (أن شعب أورشليم وقتئذ كان لا يعتقد فيه إلا النبوة، ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلةً: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع الذي من ناصرة الجليل) (٨٢). وهذا دليل على أن أهل أورشليم والناصرة يعتقدون بنبوته؛ لأنه لا يعقل أن يكون إلهاً في الناصرة ونبيًا في أورشليم.

٢ـ وورد أيضًا قول متى في إنجيله عن المسيح: (ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم، وإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خوفًا من الجموع؛ لأنه كان عندهم مثل نبي) (٨٣).

وهذا دليل على أن الكهنة وهم العلماء آنذاك كانوا لا يعتقدون في المسيح بشيء سوى النبوة تمامًا مثل الاعتقاد الذي كان في يحيى بن زكريا.

٣ـ (فان هيرودس كان قد أمسك يوحنا . . . وطرحه في سجن. ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب؛ لأنه كان عندهم مثل نبي) (٨٤).

٤ـ ويورد لوقا في إنجيله حكاية عن معجزة المسيح في إحياء الموتى فيقول: ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون فقال: أيها الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم، فأخذ الجميع خوفٌ، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبيٌّ عظيم . . . وخرج في كل اليهودية) (٨٥).

وهنا نتساءل ونقول:

كيف يمجد الشعب الله ويتركون المسيح؟

وإجابة السؤال تقول: لأنهم لم يعتقدوا لحظة في ألوهية المسيح، ولم

---

(٨٢) إنجيل متى إصحاح ٢١/ ١٠ـ ١١.
(٨٣) إنجيل متى إصحاح ٢١/ ٤٥ـ ٤٦.
(٨٤) إنجيل متى إصحاح ١٤/ ٣ـ ٥.
(٨٥) إنجيل لوقا إصحاح ٧/ ١٤ـ ١٧.

تخطر الفكرة في أذهانهم حتى ولو كان المعروض أمامهم هو مشهد فيه إحياء للموتى، ومهما طار بهم العجب بالمسيح ومعجزاته فإنه لا يقف بهم إلا عند مرتبة النبوة، وهذا ما سمعناه منهم حين قالوا (نبي عظيم).

٥ـ ولم يستطع يوحنا صاحب الإنجيل أن يغفل عن هذه القصة فحكاها بنصها قائلاً: (فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم) [٨٦]. وتأتي أقوال المسيح لتؤكد هذا المعتقد في نبوته فتراه يقول: (ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه؛ لأنه لا يمكن أن يهلك نبيٌّ خارجًا عن أورشليم، يا أورشليم يا أورشليم يا قاتله الأنبياء وراجمة المرسلين . . . إلخ) [٨٧]. وكان إنجيل يوحنا الذي يتخذه النصارى مفتاح القول بألوهية المسيح هو أكثر الأناجيل التي تقر بأنه رسول من الله فقط، حيث جاء فيه قول السيد المسيح عليه السلام:

٦ـ (ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله) [٨٨]. وبهذا القول يحدد منزلته كرسول فقط من عند الله ويقول: (والكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للأب الذي أرسلني) [٨٩].

٧ـ ويقول: (الذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الأب وحدي لأني في كل حين أفضِّل ما يرضيه) [٩٠] إلى غير ذلك.

من الأقوال التي تؤكد نبوته ورسالته ولم تخرج به إلى غير ذلك. ونأتي إلى القضية الثالثة وهي:

---

(٨٦) إنجيل يوحنا إصحاح ١٤/ ٦.
(٨٧) إنجيل لوقا إصحاح ١٣/ ٣٢، ٣٣.
(٨٨) إنجيل يوحنا إصحاح ٣/ ١٦.
(٨٩) إنجيل يوحنا إصحاح ١٤/ ٢٤.
(٩٠) إنجيل يوحنا إصحاح ٨/ ٢٩.

المسيح بشر ليس أكثر

ولهذه القضية تزاحمت نصوص الأناجيل وتسابقت في إثباتها حتى لا يبقى هناك ثغرة لقائل في دعوة المسيح إلى توحيد الإله وتفرده بالألوهية، وسبحان من قال: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [٩١] وهاك ما قاله المسيح عليه السلام:

(١) (أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله) [٩٢].

(٢) (من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة يصعدون وينزلون على ابن الإنسان) [٩٣].

(٣) (إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه) [٩٤].

وجاء في قاموس الكتاب المقدس:

(ويوجد في الأربعة الأناجيل ثمانية وسبعون مثلاً يستخدم فيها المسيح عبارة «ابن الإنسان» عن نفسه) [٩٥].

وهذا دليل على أنه لم يرفع نفسه فوق البشرية، ولم يدع قومه إلى غير الوحدانية، ولقد كانت افتتاحية إنجيل متى أكبر دليل على بشرية المسيح. (كتاب ميلاد المسيح بن داود بن إبراهيم) [٩٦]. وهذا دليل على أن المسيح من ذرية داود وإبراهيم وأبواه في نسب الديانة أيضًا، فإبراهيم لا

---

(٩١) سورة النساء آية ١٧٢.
(٩٢) إنجيل يوحنا إصحاح ٨/ ٤٠.
(٩٣) إنجيل يوحنا إصحاح ١/ ١٥.
(٩٤) إنجيل مرقس إصحاح ١٤/ ٢١
(٩٥) قاموس الكتاب المقدس ص ١٧١ بطرس عبد الملاك.
(٩٦) إنجيل متى إصحاح ١/ ١.

شك هو أبو الأنبياء، وهناك قرب واضح بين ديانة المسيح وديانة إبراهيم، يقول الأستاذ العقاد: (من العقائد التي ظهرت مع المسيحية أن رسالة إبراهيم روحية وليست جسدية، وأن المقصود بذريته من يسيرون على نهجه ويعملون بوصيته، فهي إنسانية وليست عصبية مقصودة على قوم من الأقوام)[٩٧]. ومما قاله العقاد يتبين لنا أن متى صاحب الإنجيل ما نسب المسيح إلى إبراهيم إلا حينما أيقن أن المسيح بشر ورسول يسير على نهج أبيه إبراهيم في دعوته إلى التوحيد، وإلا ما استحق الانتساب إليه، وكان المسيح ذاته يُذكّر اليهود بإبراهيم ويقول: (لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم)[٩٨]. وكان موقف إبراهيم من ربه واضحًا وضوح الشمس في سمائها حين قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٩٩].

أما داود عليه السلام فقد سار على نهج إبراهيم، وامتلأت مزاميره بفقرات التوحيد التي جاءت على لسانه، ولا يعقل أن المسيح قد خالف أبويه وسائر الأنبياء ونادى بثالوث إلهي يحتمل غير التوحيد، ولا يظن مؤمن أنه عليه السلام قد شارك خالقه في الألوهية فبادر إلى رفع نفسه إلى ما فوق الإنسانية، وما ذكرنا من نصوص للتوحيد في الأناجيل خير شاهد على صدق دعوته وحقيقة رسالته. وفي الأناجيل مئات من كلمات المسيح يتحدث فيها عن ربه بأنه الإله الواحد، ولم يتحدث مرة بأنه ذو أقانيم ثلاثة: أب وابن وروح قدس، ولو كان لهذه الأقانيم دخل في قضية

(٩٧) إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٠، الأستاذ العقاد.
(٩٨) إنجيل يوحنا إصحاح ٨ / ٤.
(٩٩) سورة الأنعام آية ٧٩.

التوحيد ما غفل المسيح وتلاميذه عن ذكرها فهم أولى الناس بقولها وتلاميذه أقدرهم على شرحها، وإذا كان ـ عليه السلام ـ قد تخلى عن مفهوم الثالوث والتعريف به ـ هذا التعريف العميق البعيد الأغوار ـ وهو مطلوبٌ ديانةً ومعتقداً فكيف يكون قد أدى رسالته، وفتح للناس معالم الهدى إلى الله، لكن الحقيقة أن المسيح عليه السلام قد أدى رسالة ربه. وإنه لا يوجد دليلٌ واحدٌ على ألوهيته.

وقفة وتوضيح

وقد يقال: إن الدليل على مشاركة المسيح لله في الألوهية ودخله في قفص الثالوث هو ما رددته الأناجيل من نصوص الأبوة والبنوة، وكلها تدل على نسبة المسيح لله مثل:

١ ـ (بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله) (١٠٠)

٢ ـ (كان هذا الإنسان ابن الله) (١٠١)

٣ ـ (أبي الذي في السموات) (١٠٢)

إلى غير ذلك من النصوص التي تدل على أن المسيح رب وإله وابن إله، **ولتوضيح ذلك أقول:**

إن هذه النصوص إن صح ثبوتها فهي لا تعني سوى المجاز، وأن البنوة التي ورد في الأناجيل بالتحقيق مجازية؛ وذلك لأن المسيح نفسه كان يستشهد بما في التوراة والأناجيل كتبت على نسق التوراة وأسفار الأنبياء

(١٠٠) إنجيل مرقيس إصحاح ١ / ١.
(١٠١) مرقس إصحاح ١٥ فقرة ٣٩.
(١٠٢) متى إصحاح ٧/ فقرة ٢١.

ولقد ذكرت هذه الأسفار ألفاظ (الإله) (والرب) (والابن) و أرادت بها المعنى المجازي، فمثلاً:

أ. لفظ الإله :

يطلق في الحقيقة على الله تعالى، وفي المجاز على السيد. جاء ذلك في سفر الخروج.

١ ـ (فقال الرب لموسى: انظر، أنا جعلتك إلهًا لفرعون، وهارون أخوك نبيك)[١٠٣]. ولا يقال: إن أحدًا ادعى ألوهية موسى، ولكن المقصود هو قوله جعلتك سيدًا لفرعون.

٢ ـ وأطلق هذا اللفظ في المزامير على اليهود عامة: (أنا قلت لكم إنكم آلهةً وبنو العلي كلكم) [١٠٤]. والمقصود هنا أنكم سادة، وأبناء سادة ولوكان الأمر غير ذلك لأصبح اليهود الذين أرادوا قتل المسيح وصلبه وخالفوا أقواله وأفعاله آلهةً وأبناءً لآلهة، بيد أننا لا نرى أحدًا من النصارى أو غيرهم في إمكانه أن يقر ذلك. إذن فالمقصود المجاز لا الحقيقة.

ب. أما لفظ الرب:

فإنه يطلق في الحقيقة على الرب الإله، ويطلق مجازًا على السيد:

١ ـ حيث جاء في المزامير بهذا المعنى: (قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك) [١٠٥]. فلفظ الرب الثاني يعني السيد. وهذا يدل على أن هذه الكلمة كانت شائعة في بني إسرائيل

---

(١٠٣) سفر الخروج ٧/ فقرة ١.
(١٠٤) مزمور ٨٢/ ٢.
(١٠٥) مزمور ١١٠ /١.

وهي لا تدل إلا على السيادة، وقد نقل هذا اللفظ إلى مصر على لسان نبي الله يوسف عليه السلام حين قال ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [١٠٦]. في رأي من قال: إن هذه الكلمة مرادٌ بها العزيز. وقد وردت هذه الكلمة في الأناجيل على لسان المسيح كثيراً فنراه يقول:

٢ ـ (ليس كل من يقول يارب يدخل ملكوت السموات) [١٠٧]. وواضح في هذا النص أن الرب هنا غير الله الذي يشير إليه السيد المسيح بأنه أبوه الذي في السموات.

٣ ـ ووردت هذه الكلمة على لسان حواريه وتلاميذه: فها هو بطرس يخاطب المسيح عندما قال: (حاشاك يا رب . . . لا يكون لك هذا)[١٠٨] وغير مقبول عقلاً ومنطقًا أن يكون بطرس في حضرة الله، ثم ينتهره أو يعترض عليه بقول أو فعل، إذن فلا تعدو كلمة رب أن تكون للتعظيم والاحترام (وطبيعي أن الذين كانوا مجتمعين إلى السيد المسيح لم يكن يقع في تصورهم أنهم في حضرة الله، وإنما هم في حضرة إنسان له في نفوسهم كل ما يقدرون عليه من احترام و تقدير، فكانوا ينادونه بتلك الكلمة يا رب ولا يريدون بها إلا السيد المحبوب المطاع) [١٠٩]

جـ ـ أما لفظ الأب:

فإنه يطلق في الحقيقة على الوالد، وفي المجاز على الله عز وجل، فقد جاء في سفر أشعياء:

---

(١٠٦) سورة يوسف آية ٢٣ .
(١٠٧) إنجيل متى إصحاح ٧/ ٢١
(١٠٨) إنجيل متى إصحاح ١٦ / ١٣ .
(١٠٩) المسيح في التوراة والقرآن ص ٢٣، الأستاذ عبد الكريم الخطيب.

١ ـ أن اليهود خاطبوا ربهم قائلين : (فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم ولم يدرنا إسرائيل ، أنت يا رب أبونا منذ الأبد اسمك) [١١٠] .

٢ ـ وعلى هذا المعنى جاءت كلمات السيد المسيح كما تقول الأناجيل : (أحبوا أعداءكم ، باركو لأعينكم . . لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات) [١١١] .

٣ ـ وكان يقول : (فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك في علانية)[١١٢] .

٤ ـ وجاء أيضًا : (فصلوا أنتم هكذا أبانا الذي في السموات) [١١٣] .

فلفظ الأب هنا معناه « الله » بالمفهوم المطلق للإله على ما يتصوره المؤمنون بإله واحد لا شريك له ، وأنه سبحانه شيء ، والمسيح شيء آخر فالله واحد في السماء ولا يراه أحد ، والمسيح إنسان رسول يسعى بين الناس ويدعوهم إلى وحدانية الخالق ، وليست إشارة السيد المسيح إلى الأب بأنه في السماء إن ثبتت صحتها مراداً بها تحديد الذات الإلهية وحصر مكانها في السماء ، ولكنها إشارة إلى علو الذات وبعدها عن متناول الحواس ، وإن كانت قائمة في الوجود مستولية على كل شيء ، ولا يعنى المسيح بالأبوة التي يضيفها إلى نفسه أبوة اللحم والدم ولا أبوة الولادة الروحية ولكنها أبوة رعاية ورحمة ، ولهذا فإن المسيح يخاطب الناس جميعاً بأنهم أبناء الله .

---

(١١٠) أشعياء إصحاح ٦٣ / فقرة ١٦ .
(١١١) إنجيل متى إصحاح ٥ / فقرة ٤٤ ، ٤٥ .
(١١٢) إنجيل متى إصحاح ٦ / فقرة ٧ .
(١١٣) إنجيل متى إصحاح ٦ / فقرة ٩ .

د ـ أما لفظ الابن:

فإنه يطلق أيضاً على البنوة الحقيقية والمجازية، ذُكر ذلك في سفر التثنية:

١ ـ (أنتم أولاد للرب إلهكم)[١١٤].

٢ ـ وفي المزامير: (وبنو العلي كلكم)[١١٥].

وهذه بنوة مجازية، ويأبى المعنى نقيض ذلك وعلى هذا المعنى جاءت الأناجيل وافتتح إنجيل مرقس كما ذكرنا آنفا.

٣ ـ وفي إنجيل متّى يقول الشيطان للمسيح وهو في دور التجربة: (إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا . . . . . وإن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل)[١١٦].

٤ ـ وفي إنجيل مرقس يتحدث المسيح إلى تلاميذه عن يوم الدينونة فيقول: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب)[١١٧].

٥ ـ وفي إنجيل لوقا ذكر لفظ بنوة آدم منسوبًا لله تعالى: (آدم ابن الله)[١١٨].

٦ ـ كما نسبت بنوة الملائكة لله: (مثل الملائكة وهم أبناء الله)[١١٩].

---

(١١٤) سفر التثنية إصحاح ١٤ / ١.
(١١٥) مزمور إصحاح ٨٢ / ١.
(١١٦) إنجيل متّى إصحاح ٤ / ٣-٦.
(١١٧) إنجيل مرقس إصحاح ١٣ / ٣٣.
(١١٨) إنجيل لوقا إصحاح ٣ / ٨٣.
(١١٩) إنجيل لوقا إصحاح ٢٠ / ٣٦.

والبنوة التي وردت في الأناجيل كلها هي من هذا القبيل، لا تتحدث إلا عن الصلة التي تصل المسيح بالله، والمقصود بها العناية والعطف والرحمة.

كما ذكرنا آنفا أن المسيح عليه السلام إن صحت نسبة هذه النصوص إليه وخلت من التحريف ـ فإنه كان يخاطب قومه بما يعرفون من ألفاظ، وأن هذه أسماء ـ كما يقول العقاد ـ: (كانت مسجلة في أسفار الأنبياء، والقوم كانوا يفهمونها دون تعليق أو تأويل، ولم يوص السيد المسيح تلاميذه أن يفهموا منها غير ذلك حين يذكرون ابن الله وابن الإنسان)[١٢٠].

وهذا يعني أن الدعوة المسيحية القائمة على التوحيد لا تخرج بها هذه الألفاظ إلى أحقية الثالوث في الاعتقاد؛ لأن هذه الأسماء في حقيقتها هي التي تفرق بين الابن والأب، بين النبي والإله، فلا يستقيم أبدًا أن يكون الابن هو الأب، والأب هو الابن، وإلا للزم أن تكون الذات غير ذاتها، وأن تنقسم الذات على نفسها فيكون بعضها أعظم من بعض، وهذا محال في ذواتنا الناقصة المحدودة، فكيف بذات الله ذات الكمال والجلال!

والخلاصـــــة:

التي ننتهي إليها من ذلك أن الأناجيل وما ألحق بها من رسائل لم تشر من قريب أو بعيد إلى غير وحدانية الله تعالى، وتؤكد أن دعوة المسيح لم تكن لغير هذه الوحدانية.

والآن نورد ما ذكر القرآن الكريم من دعوة المسيح عليه السلام إلى وحدانية الله تعالى.

---

(١٢٠) حياة المسيح ص ٧٧، الأستاذ العقاد.

ثالثا: دعوة عيسى عليه السلام إلى التوحيد من خلال القرآن الكريم

إذا كنا قد علمنا فيما سبق أن هناك نصوصًا وفيرة في كتب القوم تدل على أن الدعوة المسيحية قد قامت على التوحيد، وأن ليس هناك نصٌ واحدٌ مما ذكرنا يتخذ كدليل صحيح على الثالوث المزعوم، فإننا سنجد من خلال القرآن الكريم تأييدًا لهذه النصوص وتبيانًا لحقيقة الدعوة التوحيدية التي نادى بها نبي الله ورسوله عيسى عليه السلام؛ وذلك لأن القرآن الكريم ـ سراج الله في الأرض ـ قد تحدث به خالق الأكوان إلى النبي محمد ﷺ مخبرًا إياه أن دعوات الأنبياء عامة قد قامت على التوحيد، وأن ليس هناك نبيٌ واحدٌ قد دعا إلى ثالوث في يوم ما. قال تعالى ﴿ **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴾ (١٢١).

وقال جل جلاله: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ (١٢٢).

فإذا كان الأنبياء جميعًا يعترفون بعقيدة التوحيد، وإليها يدعون على مر الأزمنة والقرون فهل يقبل عقلٌ سليمٌ أن يتهم المسيح بأنه قد خالف الأنبياءُ ودعا بغير ما أمرت به السماء؟! إن هذا الهراء الذي لا يوجد عليه دليل لا يمكن أن يسلم به القرآن الكريم، ولذلك وجدنا القرآن الكريم ينص كما قال فضيلة الشيخ أبو زهرة (على أن عقيدة المسيح هي التوحيد الكامل بكل شعبه: التوحيد في العبادة فلا يعبد إلا الله، التوحيد في التكوين فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له، والتوحيد في

(١٢١) سورة الزخرف آيه ٤٥.

(١٢٢) سورة الأنبياء الآية ٢٥.

الذات والصفات فليس ذاته بمركبة وهي منزهة عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى)[١٢٣].

قال تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[١٢٤] وقال جل جلاله على لسان المسيح عليه السلام: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[١٢٥]. وساعة أن حاول النصارى أن يخرجوا بدعوة المسيح عن الوحدانية، ويلبسوها ثوب الوثنية ألبسهم الله ثوب الكفر، وما أقذره من ثوب، ثم أخبر أنه واحدٌ لا شريك له في مُلكه، وأن على القوم أن ينتهوا عما زعموه في حقه ـ جل في علاه ـ قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١٢٦].

ياله من تهديد وياله من وعيد، لو تنبهت إليه بصائر القوم لخلوا لتوهم عن أقوالهم، ولعلموا لتوهم حقيقة دعوة نبيهم ورسولهم، ولكنهم تمادوا في غيّهم ولم يكتفوا بما قالوا على الله الواحد الأحد، فذهبوا ليخرجوا المسيح ودعوته عن ركب الأنبياء والمرسلين مدعين أنه إله من دون الله بغير دليل أو برهان، ولكن القرآن الكريم صحح هذا المفهوم ونفى بالدلائل أن يكون المسيح غير بشر ورسول.

والأناجيل كما عرفنا سابقا قد اعترفت بكون المسيح بشرا ورسولا

---

(١٢٣) محاضرات في النصرانية ص ١٢.
(١٢٤) سورة المائدة الآية ٧٢.
(١٢٥) سورة المائدة الآية ١١٧.
(١٢٦) سورة النساء الآية ١٧٢.

والقرآن الكريم قد صدق على هذا الاعتراف فقال ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْله الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلان الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾[١٢٧]. وخليق بمن يأكل الطعام أن يتغوط ويتبول، ومن كان كذلك فلا يكون إلهًا من دون الله ﴿ **قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[١٢٨].

ويمضي القرآن الكريم في تصحيح عقيدة النصارى الحالية وإثبات حقيقة الدعوة المسيحية فيقول سبحانه: ﴿ **لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾[١٢٩]. ومن الغريب أن المسيح لن يستكبر على عبودية الله الواحد، والنصارى لا يرضون له ذلك، لكن المسيح ـ وهو النبي الرسول الذي حمل رسالة التوحيد من ربه ـ يعلم علم اليقين أن الاستكبار على عبادة الله، والبعد عن وحدانيته تعالى عاقبته وخيمة ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا** ﴾[١٣٠].

والمفهوم من هذه الآيات كلها أن عيسى عليه السلام ما دعا إلا إلى توحيد الله، فغير التوحيد إذن دخل النصرانية من بعده، وما كان عيسى إلا رسول لله رب العالمين، ولو كان المسيح بخلاف ذلك، وعقيدته تغاير عقيدة الأنبياء لصرح بذلك كتاب الإسلام الذي شهد له التاريخ بالصدق، والعقلاء بالعصمة. ولنرى هذه العقيدة في المسيحية بعد المسيح عليه السلام في الفصل الثالث ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١٢٧) سورة المائدة ٧٥.
(١٢٨) سورة المائدة الآية ٧٦.
(١٢٩) سورة النساء الآية ١٧٢.
(١٣٠) سورة النساء الآية ١٧٣.